

دلائل الإعجاز

منزلٍ أو وصفٍ طللٍ أو نعتٍ ناقةٍ أو جملٍ أو إـسرافٍ قولٍ في مدحٍ أو هجاءٍ وأنه ليسَ بشيءٍ تمسُّ الحاجةُ إليه في صلاحِ دينٍ أو دُنيا .

وأما الذَّحْوُ فظنُّه ضربةً من التَّكْلِيفِ وباباً من التعسُّفِ وشيئاً لا يستندُ إلى أصلٍ ولا يُعتمدُ فيه على عقلٍ . وأنَّ ما زادَ منه على معرفةِ الرَّفْعِ والذَّصْبِ وما يتصلُ بذلك مما تجدهُ في المباديءِ فهو فضلٌ لا يُجدي نفعاً ولا تحصُلُ منه على فائدةٍ . وضربُوا له المثلَ بالملاحِ - كما عرفت - إلى أشباهِ لهذه الظُّنونِ في القَبيلينِ وآراءٍ لو علِّموا مَغَبَّتَها وما تقودُ إليه لَتَعَوَّذُوا باللَّهِ منها ولأنفُسهم من الرِّضا بها ذاك لأنَّهم بإيثارهم الجهلَ بذلك على العلمِ في معنى الصَّادِّ عن سَبيلِ □ والمُبتَغى إطفاءَ نورِ □ تعالى .

وذاك أنا إذا كُنْذا نعلمُ أنَّ الجَهَةَ التي منها قامتِ الحُجَّةُ بالقُرْآنِ وظهرتْ وبانتْ وبهرتْ هيَ أنْ كانَ على حدٍّ من الفَصَاحَةِ تَقْصُرُ عنه قُوَى البشرِ ومُنْتَهياً إلى غايةٍ لا يُطْمَحُ إليها بالفِكرِ . وكان مُحالاً أن يعرفَ كونهَ كذلك إلا مَنْ عرَفَ الشعرَ الذي هو ديوانُ العَرَبِ وعنوانُ الأدبِ والذي لا يُشْكُ أنه كانَ ميدانَ القومِ إذا تَجَارَوْا في الفَصَاحَةِ والبيانِ وتنازَعوا فيهما قصبَ الرَّهانِ . ثم بحثَ عنِ العِللِ التي بها كانَ التَّسْبِيحُ في الفضلِ وزادَ بعضُ الشعرِ على بعضٍ كانَ الصادُّ عن ذلك صادِّاً عن أن تُعرفَ حُجَّةُ □ تعالى . وكان مثله مثلَ مَنْ يتصدَّى للنَّاسِ فيمنعُهم عن أن يحفظوا كتابَ □ تعالى ويقوموا به ويتلَّوه ويقرؤوه ويصنعُ في الجملةِ صَنِيعاً يؤدِّي إلى أن يقلَّ حُفَّاظُهُ والقائمونَ به والمُقرئون